

بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي والتنافس بينهم على العلاقة بالحجاز

د. ناصر بن عبد الله البركاتي*

* دكتوراه تاريخ جامعة مانشستر - إنجلترا ١٤٠٣ هـ. عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ وعميد شؤون المكتبات بجامعة أم القرى.

ملخص البحث

تتركز أهمية هذا البحث في عرض التنافس بين البيت الأيوبي بمصر والبيت الرسولي باليمن على سلطة مكة المكرمة بعد فقدان حكامها الأصليين الأشراف آل قتادة لسلطتهم الفعلية على مكة المكرمة مايقارب خمسة وعشرين سنة نتيجة للنزاع بين كل من الشريف حسن وأخيه الشريف راجح أبناء الشريف قتادة بن إدريس الحسيني المؤسس لسلطتهم على مكة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م حيث أخذ النزاع يدب بعد وفاته سنة ٦١٨ هـ بين أبنائه المذكورين . وركز البحث على إستغلال الملك المسعود الأيوبي لهذا النزاع عندما اتى بدعوة من الشريف راجح بن قتادة لمساعدته ضد أخيه الشريف الحسن ، ولكن المسعود بعد نجاحه في إبعاد الشريف الحسن طمع في سلطة مكة لنفسه بتعيينه للشريف راجح حاكما على السرين والمخلاف السلياني ، وعين الأمير عمر بن علي بن رسول نائبا له بمكة المكرمة . وبعد وفاة الملك المسعود سنة ٦٢٦ هـ وإستقلال ابن رسول بحكم اليمن بدأ التنافس بينه وبين الأيوبيين بمصر على إحراز السلطة في مكة ، وعنى كل منها بالتقرب إلى إشراف مكة لتدعيم سلطته ولكن بحذر . وبقيت مكة تتداولها القوتان إلى أن إسترد الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة سلطة أسرته على مكة سنة ٦٤٦ هـ بقبضه على الأمير إبن المسيب اليمني نائب السلطان الرسولي بمكة وبذلك تم القضاء على سلطة بني رسول فيها .

بنو رسول وعلاقتهم بالبيت الأيوبي

ينسب بنو رسول إلى جدهم محمد بن هارون التركماني الذي علا قدره بخدمة الخلافة العباسية حتى أنس به الخليفة العباسي ويبدو أنه المستنجد بالله ابن المقتفي وابنه المستضيء بالله أبو محمد الحسن اللذان حكما من سنة ٥٥٥ هـ إلى ٥٧٥ هـ وكان رسولا معاصراً لهما لأنه توفي سنة ٥٨٥ هـ^(١).

واختصاه برسائلهم إلى الشام ومصر لشدة ثقتهم به حتى أطلق عليه رسول الخليفة ويبدو أن هذا الاسم طغى على الاسم الحقيقي وأخذت تعرف هذه الأسرة بآل رسول^(٢).

وقد انتقلت هذه الأسرة من العراق إلى بلاد الشام أولاً ثم انتقلت بصحبة البيت الأيوبي إلى مصر الذي أكرمهم وقربهم وأصبحوا من رجاله المخلصين^(٣). وعلى كل حال فإن أبناء الأسرة الرسولية أخذ نجمهم يبرز، لما تميزوا به من شجاعة ونجابة وحسن تصرف الأمر الذي جعل صلاح الدين الأيوبي يستخدمهم لفتح بلاد اليمن في معية أخيه توران شاه عام ٥٦٩ هـ^(٤)، وهو أول من ضم بلاد اليمن للحكم الأيوبي بهدف السيطرة على أراضيها ووضعها تحت حظيرة السلطة الأيوبية، وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب دفعتهم إلى ذلك ونحن لسنا في حاجة لاستعراض هذه الأسباب.

(١) الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م، ط ٢، ص ٢٨.

د. محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، ج ٢ ص ١٤٨.

(٢) الخزرجي، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٣) محمد عبدالفتاح عليان، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن، رسالة دكتوراه، ص ٢٨.

آمنة حسن جلال، علاقة سلاطين بني رسول بالحجاز، رسالة ماجستير، ص ١٧.

الخرزجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٢٧٣.

ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٦٩.

الخرزجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١١ ص ٣٩٦.

ولكن توران شاه الأيوبي بعد نجاحه في مهمته باخضاعه للأراضي اليمنية
رجع إلى أخيه صلاح الدين بعد استسماحه بالعودة . وقد اختلف في تاريخ عودته
فقيل سنة ٥٧٠ هـ^(١) وقيل سنة ٥٧١ هـ^(٢) وهو الأرجح ولكن هل توجه توران
شاه في عودته إلى الأراضي المصرية أم إلى بلاد الشام ؟

فقد ذكر الخزرجي بأن الملك المعظم توران شاه رجع إلى مصر في سنة
٥٧١ هـ^(٣) كما ذكرت بعض المصادر بأنه رجع إلى مصر سنة ٥٧٠ هـ^(٤) أما ابن
تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة فذكر بأنه رجع إلى دمشق سنة ٥٧١ هـ^(٥)
ويبدو أن روايته أدق الروايات فيما أورده عن اتجاه خط عودته لاحتمال السلام على
أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي المتعلق به والموجود في تلك الفترة ببلاد
الشام^(٦) أما تاريخ عودته فأكثر الكتب المعاصرة أو القريبة من المعاصرة تذكر أن
عودته كانت سنة ٥٧١ هـ ، وهو ما ذكره ابن تغري بردي والخزرجي وابن الأثير
المعاصر لهذه الأحداث^(٧) .

وعلى كل حال فقد رتب توران شاه الأيوبي قبل مغادرته اليمن نوابا له
يحملون خراجها له حتى توفي سنة ٥٧٦ هـ^(٨) ، وما أن سمع نوابه باليمن بوفاة
حتى دبت المنازعات والمنافسة على السيطرة على البلاد التي كانت تحت حوزتهم
الأمر الذي كاد يخرج هذه البلاد عن النفوذ الأيوبي لولا أن تدارك الأمر السلطان
الناصر صلاح الدين وأرسل أخاه العزيز طغتكين بن أيوب بقوة من مصر دخلت

(١) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٩ .

(٢) الحداد . المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٩ .

(٤) آمنه حسن جلال ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٦ .

(٦) ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٧٣ .

(٧) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١١ ص ٤٣٤ .

ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ٧٦ .

(٨) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ١١ ص ٤٦٨ .

ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٨٧ .

اليمن سنة ٥٧٩ هـ وأعاد النفوذ عليها ، ومكث بها حتى توفي سنة ٥٩٣ هـ^(١) حيث بويع ابنه المعز اسماعيل الذي أخذت الأمور في عهده تضطرب لضعف شخصيته واضطرابها الأمر الذي أثار عليه جنوده حتى لقي مصرعه على أيديهم سنة ٥٩٨ هـ^(٢) ، وقاموا ببيلة أخيه أيوب الذي لم يبلغ الرشد ولقب بالناصر ، وقام مربيه سيف الدين بإدارة شئون الدولة وعمل على إخضاع الجنود الأكراد لطاعته . ولكن وزيره غازي بن جبريل طمع في سلطة اليمن فدس له السم ومات سنة ٦١١ هـ^(٣) ، واستأثر بالسلطة لنفسه ولقب بالظافر وضرب السكة باسمه وخطب له في منابر صنعاء ولكنه عند ذهابه إلى تعز قتل في طريقه وأرسلت أم الناصر عبيدها وأحضروا رأسه ونصبت في بادئ الأمر ابنها المجاهد وطلبت من أحد الأمراء الأيوبيين الذين أتوا لأداء فريضة الحج وهو الأمير سليمان بن تقي الدين الأيوبي الملقب بالصوفي بأن يأتي وينقذهم كنساء أيوبيات ، وعندما وصل تزوجته ونصب ملكا في زبيد ، ولكنه أساء السيرة وأخذت الاضطرابات والفوضى تدب في اليمن واحتدم الصراع على السلطة بها بين الطامعين^(٤) .

(١) ابن الأثير، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٢٩ .

الحداد، المرجع السابق، ص ٢٤٣ .

(٢) الحداد، المرجع السابق، ص ٢٤٣ .

ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١٢ ص ١٢٩ .

ابن تغري بردى، المصدر السابق، ج ٦ ص ١٨١ .

الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٩ .

(٣) الحداد، المرجع السابق، ص ٢٤٥ .

الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٩ .

(٤) الحداد، المرجع السابق، ص ٢٤٥ .

آمنة جلال، المرجع السابق، ص ٢٦ .

(المسعود الأيوبي وأثره في بروز البيت الرسولي)

بعد وفاة العزيز طغتكين بن أيوب سنة ٥٩٣ هـ ومقتل أبنائه أولا ابنه المعز اسماعيل سنة ٥٩٨ هـ ثم أخيه الناصر أيوب سنة ٦١١ هـ ، أخذت العناصر الطامعة في السلطة تبرز على مسرح الأحداث باليمن حتى كادت الدولة الأيوبية أن تفقد نفوذها على اليمن . ولكن الملك العادل الأيوبي عندما لاحظ ضياع سلطتهم باليمن بعد الأحداث التي جرت لأبناء أخيه طغتكين بن أيوب ، قام بتجهيز قوة من مصر وإرسالها إلى اليمن تحت قيادة ابن أبنه الكامل^(١) المسمى أفضيس الذي حرف لدى العامة إلى أفضيس حيث اشتهر بهذا الاسم^(٢) وأصبح علما عليه وقد لقب بالملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل الأيوبي .

وعلى كل حال فقد تحرك المسعود من القاهرة في يوم (سبعة عشر رمضان) من سنة ٦١١ هـ على رأس قوة تتكون من ألف فارس من الجندارية^(٣) وخمسمائة من الرماة ومعه الأموال الكثيرة^(٤) ، وبرفقته مربيه جمال الدين فليته^(٥) لصغر سنه حيث لم يبلغ الرشد ولهذا كتب الملك العادل أبو بكر إلى الأمير شمس الدين على بن رسول وإلى بقية الأمراء التابعين بالولاء للبيت الأيوبي باليمن بالإنضواء لخدمة المسعود^(٦) .

(١) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٠ .

الحداد ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٢١٠ .

(٣) الجندارية : هي فرقة عسكرية مقربة من خدمة السلطان للدخول عليه وتنفيذ أوامره وحمايته لكونها

قوة ضاربة . أنظر : أبو العباس بن أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء . ج ٤ ص

٢٠ .

(٤) ابن فهد ، عبدالعزيز بن عمر ، مخطوطة غاية المرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق محمد فهم شلتوت ،

ج ١ ص ٥٨٩ .

الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠ .

(٥) الحداد ، المرجع السابق ص ٢٤٦ .

(٦) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٨٩ .

وفي ثالث ذي القعدة من عام ٦١١ هـ وصل الملك المسعود إلى مكة واستقبله الشريف قتادة بن ادريس الحسني حاكم الحجاز وأحسن استقباله فأنفق المسعود ألف دينار على سكان مكة وأعطى الشريف قتادة ألف دينار وقماش بألف دينار كمساعدة لما وجده من حسن إستقبال^(١)، ولكنه لم يمكث بمكة طويلا بل توجه إلى اليمن مباشرة بقوة خوفا من ترهل جنوده أو تفرقهم في الأماكن المقدسة .

ودخل زيد في يوم السبت الثاني من شهر محرم سنة ٦١٢ هـ^(٢) بعد جهد جهيد لطول المسافة التي قطعها في هذه الحملة ، فاستقر في الدار السلطانية بزيد مجهدا واضطر إلى أن يرسل لسليمان بن تقي الدين الأيوبي المعروف بالصوفي المسيطر آنذاك على معظم البلاد اليمنية المتمركز في حصن تعز يخاطبه بالصلح لاقتسام بلاد اليمن^(٣) وهذا يدل على ماوصل إليه عسكر الملك المسعود من جهد وعناء وتفكك يؤثر في اداء مهامهم العسكرية التي أتى من أجلها وهنا ظهرت خدمة البيت الرسولي للملك المسعود بن الملك الكامل عندما وصل إلى هذه الحالة التي حالت دون تحقيق هدفه، ولهذا فلما سمع بذلك الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول توجه بنفسه لمقابلة الملك المسعود ودخل في خدمته وإنضوى تحت لوائه وحثه على الطلوع إلى تعز دون تردد واثناه عن القبول باقتسام بلاد اليمن مع سليمان بن تقي الدين عمر الأيوبي^(٤) لفقدان الثقة بين بدر الدين الرسولي وبين سليمان . ولهذا بين للمسعود أن ذلك لا يحقق الهدف الذي أتى من أجله وكشف له عن ضعف سليمان وبعض الخلل الداخلي في صفوف رجاله ، ورغبة الكثير منهم بالانضمام إلى صف المسعود . ونتيجة لهذا التشجيع من الأمير ابن رسول توجه المسعود الأيوبي بقوة من زيد وحط على حصن تعز فاجتمع عليه معظم عساكر اليمن وبقي ابن تقي الدين الأيوبي وبعض جنوده في داخل الحصن فأشار

(١) ابن فهد عبدالعزيز، نفس المصدر، ج ١ ص ٥٨٩ .

آمنه جلال، المرجع السابق، ص ٢٧

(٢) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٠ .

(٣) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١ .

(٤) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١ .

الأمير بدر الدين بن رسول على المسعود بأن يكتب للجنود الذين بالحصن يهددهم بالانتقام اذا لم يمسكوا سليمان ويقوموا بتسليمه، وفعلا كان للكتاب تأثيره فقام الجند باغلاق باب المجلس عليه وأخبروا المسعود بذلك فأرسل نائبه بقوة وأمسك بسليمان وقيدته وسيطر على الحصن ودخله في ١٠ صفر عام ٦١٢ هـ وبهذا دانت له معظم بلاد اليمن^(١).

ويبدو من الأحداث السابقة أن البيت الرسولي لم يلعب دوراً واضحاً في الأحداث باليمن في بداية وصولهم مع القوة الأيوبية وذلك إما للتخطيط لانهاك القوى المتصارعة لأخذ المكان الطبيعي لهم وخاصة وهم يظهرون الولاء للبيت الأيوبي.

وإما لكونهم غرباء عن المنطقة فأرادوا تكوين قاعدة شعبية من أهل البلاد يدعمونهم عند تحركهم السياسي والعسكري الذي يسعون للتخطيط له . على كل حال فالملك المسعود الأيوبي بعد سيطرته على معظم اليمن أخذ يقرب لخدمته البيت الرسولي بزعامة الأمير شمس الدين علي بن رسول الذي توفي سنة ٦١٤ هـ وهو في خدمة المسعود الذي اختار لنفسه الإقامة بينهم لاعتجابه بهم واستثناسه لمواالاتهم وإخلاصهم له وسديد رأيهم فأخذ يسطع نجمهم ، فولى الأمير بدر الدين بن علي بن رسول صنعاء وجعلها اقطاعاً له كمكافأة على إخلاصه في خدمته وولى أخاه الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول أولاً الحصون الوصائية ثم ولاء مكة وبعد ذلك ولاء اتابكا له وأسند اليه أمر عساكره وأطلقه ليتصرف في أموره كلها^(٢).

وفي سنة ٦٢٠ هـ ذهب الملك المسعود (أقيس) إلى مصر لزيارة والده السلطان الكامل بن العادل الأيوبي وأتاب عنه في حكم اليمن الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول حيث أقام بمصر أربع سنوات الأمر الذي مكن الأسرة

(١) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١ .

الحداد، المرجع السابق، ص ٢٤٦

(٢) ابن فهد، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٩٦ .

الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١-٣٣ .

الرسولية من الهيمنة على الأوضاع ببلاد اليمن ولكن تصاعد نفوذ هذه الأسرة أقلق السلطان الكامل فأخذ ينصح ابنه المسعود بأن ذلك سوف يؤدي إلى خروج بلاد اليمن عن طاعة السلطة الأيوبية ولهذا رجع المسعود مسرعاً إلى اليمن متغير الخاطر على بني رسول فبوصوله إلى حصن تعز في يوم الاثنين السابع عشر من شهر صفر سنة ٦٢٤ هـ لم يبق إلا أشهراً قليلة حيث في الخامس عشر من رجب قبض علي بن رسول فأودع الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول وفخر الدين أبي بكر بن علي بن رسول، وشرف الدين موسى بن علي بن رسول دار الأدب في حصن تعز وهو السجن المعروف لديهم ومنه بعث بهم إلى عدن ثم أرسلوا بحراً إلى مصر . أما نور الدين عمر بن علي بن رسول فقليل أنه كان غائباً ولم يلح في طلبه وإنما بعد قدومه عفى عنه وقيل أنه قد اعتقل مع أخوته ولكن بعد إيداع أخوته السجن أطلقه لاستئناسه به وميله له للاستفادة من خبرته^(١) فأخذ يقربه ليكون ساعداً له في بلاد اليمن، وقد سبق أن أنابه على مكة عندما انتزعها من الشريف حسن بن قتادة عام ٦١٩ هـ^(٢) وأظهر له الولاء الحسن ، ولعل ذلك مما زاد في ثقة الملك المسعود به بعد تخلصه من خطر أخوته .

وفي سنة ٦٢٦ هـ غادر الملك المسعود بلاد اليمن متوجهاً إلى بلاد الشام عند سماعه بوفاة عمه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الأيوبي صاحب دمشق رغبة من المسعود في حكمها حيث أناب أتابكه الأمير نور الدين عمر بن رسول علي اليمن في حياته وإذا مات المسعود فأخبره بأنه أولى بملكها لما قدمه من خدمة وإخلاص وتфан في طاعة المسعود^(٣) ولهذا فتأسيس دولة بني رسول باليمن يعد بمثابة هبة من الملك المسعود الأيوبي الذي توفي سنة ٦٢٦ هـ^(٤) وإن كان ذلك لا يرضى البيت الأيوبي خروج اليمن عن سلطتهم .

(١) الخزرجي، المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠ .

الحداد، المرجع السابق، ص ٢٤٩ .

(٢) ابن فهد النجم عمر، اتحاف الوري، مخطوطة تحقيق محمد فهد شلتوت، ج ٣ ص ٣٥ .

(٣) ابن فهد عبدالعزيز، غاية المرام، ج ١ ص ٥٩٤-٥٩٥ .

الخزرجي، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١ .

(٤) ابن فهد عبدالعزيز، غاية المرام، ج ١ ص ٥٩٥ .

الحداد، المرجع السابق، ص ٢٤٩-٢٥٠ .

الحجاز بين التنافس الأيوبي الرسولي

لقد أسس الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن الحسيني لأسرته حكم الحجاز سنة ٥٩٧ هـ^(١) / ١٢٠٠ م بعد إبعاد أبناء عمومته من الهواشم من مكة فاشتهر بالإتزان في علاقته بالدول المحيطة به ولكن بعد وفاته سنة ٦١٨ هـ^(٢) وقيل سنة ٦١٧ هـ^(٣) ويبدو أن وفاته في بداية سنة ٦١٨ هـ لأن ابن الأثير معاصر لتلك الأحداث، أخذ النزاع يدب بن أبنائه مبتدئا بالصراع بين الشريف الحسن ابن قتادة الطامع في السلطة من عهد والده وبين أخيه الأكبر الشريف راجح بن قتادة الذي هزم مرات عديدة وأعظمها عندما قتل الأمير اقباش الناصري أمير الحج العراقي سنة ٦١٩ هـ وهو بمعية قوة الشريف راجح^(٤).

ونتيجة لهذه الهزيمة توجه الشريف راجح إلى اليمن مستنجدا بالملك المسعود اذسيس الأيوبي لأخذ مكة انتقاما من أخيه الشريف حسن تاركا السياسة التي رسمها لهم المؤسس لسلطتهم الشريف قتادة بن ادريس الحسيني لعله يأمل في مساندة المسعود لاسترداد مكة لحكم الشريف راجح مكتفيا بربط نفسه بعلاقات جيدة ولكن لا يدري ماذا يجنيء له الزمن من دسائس المسعود الأيوبي الذي كان يضمّر احتلال مكة وعدم اقتناعه بتركها تحت حكم الشريف راجح الذي طلب نجده .

ولهذا قدم الملك المسعود الأيوبي على رأس قوة قادها من اليمن سنة ٦١٩ هـ^(٥) وبرفقه الشريف راجح بن قتادة متوجها إلى مكة لابعاد أخيه الشريف

(١) ابن فهد النجم عمر، تحاف الوري، ج ٢ ص ٥٦٦ .

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٢ ص ٤٠١ .

ابن فهد، تحاف الوري، ج ٣ ص ٣٢ .

السليمان علي بن حسين، العلاقات الحجازية، ص ١٢ .

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٤) المقرزي، السلوك، ج ١ ص ٢١٣ .

(٥) العصامي، سمط النجوم، ج ٤ ص ٧١٥ .

حسن الذي فوجيء بهذه القوة الأيوبية اليمنية المساندة لأخيه الشريف راجح فدار القتال بينهما في مكة، ونتيجة لشدة القتال وضرواته من ناحية وعدم رغبة السكان في مساندة الشريف حسن لسوء معاملته لهم من ناحية أخرى تفرق أفراد قوة الشريف حسن^(١) فاضطر إلى الخروج من مكة ناجيا بنفسه وبمن بقي من قوته تاركا المسعود يعيث بها حيث ظهر طمعه ورغبته في السيطرة عليها. ولهذا قام بتولية الشريف راجح بن قتادة على حلى بن يعقوب ونصف المخلاف السليماني وأعمالهما^(٢)، لاشغاله عن التفكير بسلطة مكة وبذلك يسهل مراقبته لكونه بين فكي كمامة القوة الأيوبية التابعة للمسعود باليمن من جنوبه والقوة المسعودية أيضا بمكة عن شماله، علما أن الشريف راجح كان يرى أحقيته بحكم مكة من اخوته لكونه أكبر أبناء الشريف قتادة ولكنه رضى بالأمر الواقع فأخذ المسعود وجنوده يعيثون بمكة حتى تضجر الناس منهم كثيرا لتعسفهم وفسادهم^(٣)، إلا أنه لم يبق بمكة بنفسه طويلا بعد ادائه لفريضة الحج ورفع على جبل الرحمة علمه وعلم أبيه مقدما على علم الخليفة العباسي الناصر لدين الله ٥٧٥ / ٦٢٢ هـ^(٤) الأمر الذي أغضب الخلافة العباسية. ولهذا لامه والده الكامل^(٥)، ثم أناب عنه أحد الأمراء المقرين له وهو الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول وترك معه من القوة ثلاثمائة فارس.

ولكن الشريف الحسن بن قتادة لم يستسلم لذلك وإنما جمع قوته واتى من ينبع سنة ٦٢٠ هـ^(٦) وحاربه نائب المسعود بمكة الأمير نور الدين عمر بن رسول

(١) العصامي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٧١٥.

(٢) العصامي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٥.

(٣) المقريري، المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٣.

السباعي، تاريخ مكة، ج ١ ص ٢٣١.

ابن ظهيرة، الجامع اللطيف، ص ١٩٢.

عائشة باقاسي، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٥٠.

ريتشارد مورتل، لآحوال السياسية، ص ٤٤.

(٤) فؤاد علي جبر، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٥) ابن فهد عبدالعزيز غاية المرام، ج ١ ص ٥٩١.

عائشة باقاسي، المرجع السابق، ص ٥١.

(٦) العصامي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٦.

السباعي، المرجع السابق، ج ١ ص ٢٣٤.

عائشة باقاسي، المرجع السابق، ص ٥١-٥٢.

بالحديبية قبل دخول مكة وهزمه وأسقط في يد الشريف الحسن بن قتادة وخاصة عندما وجد عدم اخلاص قوته له لذلك هاجر إلى العراق عبر الأراضي الشامية حيث توفي بالعراق سنة ٦٢٢ هـ^(١).

وذكر المقرئ في السلوك أن الشريف حسن رجع بقوة من ينبع وكسر ابن رسول فدخل مكة واستعاد سلطته^(٢) لعله استردها فعلا ولكنه لم يبق طويلا وإنما أخرج من قبل ابن رسول وبقيت مكة تحت هيمنة الملك المسعود الأيوبي صاحب اليمن الذي قام ببعض الإصلاحات العمرانية بمكة كبناء مسجد التنعيم ودار أبي بكر الصديق وغير ذلك^(٣) لتوطيد سلطته واستقطاب السكان حوله وتغيير الصورة القائمة لما فعله عندما دخل مكة مع الشريف راجح لابعاد الشريف الحسن من مكة. ويبدو أن هذه الإصلاحات لم يقم بها الملك المسعود الذي لم يبق بمكة طويلا إضافة إلى أنها مناقضة لسلوكه الذي أظهره في الأماكن المقدسة وإنما قام بها نائبه الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول ليوطد الأمور أولا لسيدة المسعود وتغيير الصورة التي تركها لدى السكان ، وثانيا كان يوطد لما كان يرسمه هذا البيت لنفسه من زعامة باستقطاب السكان حول نفسه .

وفي سنة ٦٢٢ هـ حاول أمير المدينة المنورة الشريف قاسم الحسيني استخلاص مكة من نائب الملك المسعود فحاصرها لمدة شهر ولكن لم يستطع تحقيق هدفه فرجع إلى المدينة المنورة بقوته^(٤) دون تحقيق الهدف الذي أتى من أجله فبقيت مكة تحت سيطرة الملك المسعود إلى أن توفي سنة ٦٢٦ هـ^(٥).

(١) السباعي، المرجع السابق، ج ١ ص ٢٣٤ .

عائشة باقاسي، المرجع السابق، ص ٢٣٤ .

العصامي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٦ .

(٢) المقرئ، المصدر السابق، ج ١ ص ٢١٣ .

(٣) ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٩٧ .

(٤) ابن فهد النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٩ .

السباعي، المرجع السابق، ج ١ ص ٢٣٤ .

(٥) ابن فهد، النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٥ .

الجزيري، عبد القادر، درر الفوائد المنظمة، ص ٢٧٦ .

ان ظهيرة، جمال الدين، الجامع اللطيف، ص ١٩٢ .

أما الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول فلم يبق بمكة طويلا وإنما استدعاه الملك المسعود الأيوبي إلى اليمن ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ مغادرته مكة إلى اليمن تلبية لنداء سيده الملك المسعود، فقد ذكر البعض أن ذلك تم سنة ٦٢٠ هـ حيث قام المسعود الأيوبي بزيارة والده السلطان الكامل الأيوبي وإلى مصر وأتاب عنه في اليمن الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول وأقام بمصر حوالي أربع سنوات ثم عاد إلى اليمن إذ كان والده يحثه على العودة خوفاً من استيلاء بني رسول على اليمن لأنفسهم^(١) .

وأشار البعض الآخر إلى أنه في سنة ٦٢٠ هـ استدعى المسعود الأيوبي نائبه عمر بن رسول في مكة وعين مكانه الأمير صارم الدين ياقوت المسعودي^(٢) وقيل إن نور الدين عمر ابن رسول بقي والياً على مكة المكرمة من قبل الملك المسعود يوسف بن الكامل الأيوبي سنة واحدة حيث استدعاه الملك المسعود للعودة إلى اليمن وولى مكانه الأمير صارم الدين ياقوت ابن عبد الله المسعودي الذي استمرت ولايته حتى سنة ٦٢٥ هـ^(٣) ويبدو من الكتابات السابقة الاختلاف الجذري فيما بين هذه الآراء التي حددت بقاء الأمير نور الدين عمر بن رسول في سلطة مكة كنائب للمسعود على مكة وإستمرت إلى سنة خمس وعشرين وستمائة^(٤) ولكن يبدو أن المرويات التي ذكرت مغادرته لمكة سنة ٦٢٠ هـ هي الأصح لأن الملك المسعود نفسه غادر اليمن إلى مصر في نفس السنة وأتاب عليها الأمير نور الدين الرسولي^(٥) وعين في نيابة مكة الأمير صارم الدين ياقوت المسعودي .
مهما يكن من أمر فالأمير نور الدين رجع إلى اليمن ليعمل أتابكا خاصة للملك المسعود فتمكن من لعب دور مهم في السياسة الأيوبية ببلاد اليمن من

(١) الحداد، المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

(٢) د. المالكي، سليمان ، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف، ص ٧٤ .

(٣) عائشة باقاسي، المرجع السابق، ص ٥٢ .

(٤) عبد الملك العصامي، المصدر السابق، ص ٢٣٤ .

السباعي، المرجع السابق، ج ١ ص ٢٣٤ .

(٥) الحزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٣ .

إدارة شئون الدولة كنائب للملك المسعود الذي دائما ماكان يثق به ويعجب بتصرفه وذكائه، ويبدو أن هذه النواة هي التي مكنت للبيت الرسولي أن يكون لنفسه قاعدة شعبية وسياسية في بلاد اليمن حيث لم يتأثر مركز نور الدين عمر بن رسول بما حصل لأخوته من قبل الملك المسعود الذي مكن نور الدين من اليمن، وعند تفاقم الخلاف بين البيت الأيوبي وخاصة في بلاد الشام وانغماس الملك الكامل في الأمور السياسية والعسكرية في بلاد الشام، استدعى ابنه المسعود من اليمن ليخلف عمه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل المتوفى على ولاية الشام^(١).

ويبدو أن هذه الدعوة وجدت رغبة لدى الملك المسعود الذي كان يطمع لجمع الثراء وخاصة لما تشتهر به بلاد الشام من خيرات مضافة إلى بلاد اليمن التي عين عليها نائبا يثق به لارسال خيراتها له علما أنه عندما تجهز بالأموال التي جمعها من اليمن جشعا رافقته في رحلته سنة ٦٢٥ هـ حيث أشار عبد العزيز ابن فهد الهاشمي لهذه الأموال وضخامتها بقوله : « فكان ثقله في خمسمائة مركب وقيل سبعون منها ألف خادم ، ومائة قنطار عنبر وعود ومائة ألف ثوب ومائة صندوق أموال وجواهر »^(٢) . وذكر ذلك أيضا أحد مؤرخي اليمن بقوله بـ « سنة ٦٢٥ هـ تجهز الملك المسعود للسير إلى مصر بما جمعه من أموال اليمن من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والغلمان والجواري »^(٣) .

وذكر الخزرجي في العقود اللؤلؤية « عندما غادر المسعود اليمن تجهز بجهاز عظيم لم يسبقه إليه ملك فكان معه ألف حصي وخمسمائة صندوق من أفخر الأقمشة والملبوس وثلثمائة بهار من العود الرطب ومن العنبر الفاخر وأربعمائة سرية ومن الجواهر والآليء والأحجار النفيسة مالا ينحصر وسبعون ألف ثوب صيني معلم بالذهب ومن الصنائع مالا ينحصر عدده حتى قيل أن المراكب التي أقلت

(١) الحداد ، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٢) ابن فهد ، عبد العزيز ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٩٤ - ٥٩٥ .

الحداد ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

(٣) يحيى بن الحسين بن القاسم ، غاية الأمان ، ج ١ ص ٤١٧ .

هذا سبعون مركبا»^(١) ولم يكتف بذلك بل وصل جشعه جمع الأموال بأي أسلوب ينتهجه لتحقيق ذلك حيث أضاف الخزرجي أنه «صاح في البنادر من أراد السفر إلى الديار المصرية فليسافر مع الملك المسعود فأقبلت التجار من كل ناحية بأنواع التجارات والبضائع فاجتمع به في ثغر عدن وقال لهم : «بيعوني هذه البضائع لتسلموا من العشور فباعوا عليه وكتب لهم بأثمانها إلى اليمن وأحال لهم بحوالا إلى كل ناحية فصاحوا بالويل والثبور فلم يلتفت اليهم ولم يحصل لأكثرهم شيء»^(٢).

هكذا كان المسعود شغوبا لجمع الثروة بظلمه للتجار وغيرهم طامعا أيضا في ثروات دمشق وغيرها من البلاد الشامية^(٣).

وقد استناب اتابكة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول على جميع بلاد اليمن وأوصاه بالمحافظة عليها وعدم تسليمها لأي طامع من الأيوبيين ولو كان والده السلطان الكامل الأيوبي ولعل هذه الوصية تبين مدى حرص الملك المسعود الأيوبي على المحافظ لبلاد اليمن لنفسه لخوفه من إستيلاء أحد الأمراء الأيوبيين عليها مثلما حدث من الصوفي سليمان بن تقي الدين الأيوبي .

أما قوله في التوصية ولو كان والده الكامل الأيوبي فاعتقد من باب التشديد على نائبه للمحافظة عليها من الأمراء الأيوبيين خاصة والخلافات قد نشبت بين البيت الأيوبي، هذا ولو كان الملك المسعود بن الكامل الأيوبي جادا في وصيته ضد والده السلطان الكامل لما جعل الخطبة باسم والده عند استيلائه على مكة سنة ٦٢٠ هـ مبينا تبعيته لسلطة والده السلطان الكامل حيث قال خطيب الحرم المكي «صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها ، والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين، ورب العلامتين خادم الحرمين الشريفين أبو المعالي محمد الكامل

(١) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٤١-٤٢ .

(٢) الخزرجي، المصدر السابق، ص ٤٢ .

(٣) ابن فهد الهاشمي النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٥ .

ناصر الدين خليل أمير المؤمنين»^(١) ولم يقف عند هذا إنما أمر نائبه على مكة نور الدين عمر بن علي بن رسول أن يخطب لوالده السلطان الكامل صاحب مصر فوق المسجد الحرام^(٢).

ولكن الملك المسعود الأيوبي عند خروجه من اليمن أصيب بمرض ألم به في طريق رحلته أقعده وشل حركته حيث لم يبق طويلا بل توفي بمكة في ثالث عشر جمادي الأولى سنة ٦٢٦ هـ^(٣) ودفن بمكة في مقابر المعلاة^(٤).

فلما بلغ الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول خبر موت الملك المسعود بمكة أضمر الاستقلال بالسلطة وأخذ يولي في الحصون والمدن من يثق فيهم من رجاله . ويعزل ويبعد من يخشى مخالفته عندما يعلن نفسه سلطانا على أراضي سيده الملك المسعود^(٥).

وعندما انتهى من هذه الترتيبات لتهيئة الجو لنفسه نادى بنفسه ملكا على اليمن ولقب بالملك المنصور نور الدين عمر بن رسول^(٦)، وللمحافظة على مكة أقر الأمير ياقوت بن عبد الله المسعودي نائبا له عليها وبهذا انتهى حكم الأيوبيين باليمن وبدأ حكم بني رسول بها . كما أن المنصور الرسولي لم يكتف باليمن بل أراد أن يمكن لنفسه بالحجاز أيضا ليكون لنفسه دولة قوية يحترمها العالم الاسلامي وخاصة وهي تضم الأراضي المقدسة ويبدو هذا من مبادرته بعد اعلان نفسه حاكما

(١) ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد / وفيات الأعيان / تحقيق د. احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ج ٥ ص ٨٢.

آمنه جلال، المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

(٢) آمنه جلال، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) ابن خلكان، المصدر السابق، ج ٥ ص ٨٣.

المقريزي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٣٧.

(٤) ابن فهد الهاشمي عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٩٤.

ابن فهد الهاشمي النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٥.

الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢.

(٥) الخزرجي، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٦) آمنه جلال، المرجع السابق، ص ٤٣.

يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأمان، ج ١ ص ٤٢٠.

على اليمن إقراره بوضع الأمير ياقوت يريد بذلك الهيمنة أيضا على الحجاز لما للحجاز من أهمية دينية لدى العالم الاسلامي لوجود الأماكن المقدسة به من ناحية ولموقعه الاستراتيجي كم منطقة دفاعية لليمن تحميه من أي هجوم من القوى الإسلامية من ناحية أخرى وخاصة القوى الأيوبية بمصر والشام .

أما الأيوبيون فقد تقدم الأمير حسام الدين^(١) لؤلؤ مملوك المسعود بأولاد سيده وحاشيته وحشمه وكل ما يملك من أموال وغيرها إلى مصر^(٢) حيث والد سيده السلطان الملك الكامل الأيوبي الذي لدى سماعه ب وفاة ابنه المسعود بمكة ومحاوله ابن رسول الاستقلال بالسلطة باليمن واستحواذه على الأماكن المقدسة بالحجاز ، بادر بارسال قوة قيل إنها تتكون من مائتي فارس^(٣) ، وقيل تتكون من ألف فارس وهذا الأرجح في نظري بقيادة شجاع الدين أبي بكر بن عمر بن محمد الطغتكيني ليكون نائبا له على مكة^(٤) فطرد العناصر الموالية لآل رسول وأعاد الخطبة لسيده^(٥) ، وأنفق على أهل مكة الأموال الكثيرة لاستمالتهم إلى جانبه وحلفهم على تأييده وتوثق منهم^(٦) ، وبهذا يبدو أن سياسة طغتكين بناء قاعدة شعبية لسيده وازالة ما تركه بنو رسول في نفوسهم من أثر حيث لم يكتف الطغتكين بذلك وإنما أخذ يوقف الأربطة بمكة على الفقراء ، وأوقف البيمارستان المنصوري العباسي بالجانب الشمالي من المسجد الحرام^(٧) .

هكذا أخذ التنافس بين القوتين الأيوبيين بمصر والرسولية باليمن وكان يخطب لكل منهما في حالة إستيلاء عسكره على مكة المكرمة^(٨) .

(١) الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المكي المسعودي ولاء الملك المسعود نائبا له على مكة بعد

استدعائه للأمير نور الدين الرسولي ، أنظر الفاسي ، العقد الثمين ج ٧ ص ٢٤٥ .

(٢) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٣ .

(٣) العصامي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٤) مورتيل ، ريتشارد ، المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٥-٤٦ .

(٥) العصامي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢١٦ .

السباعي ، المرجع السابق ، ج ١ ص ٢٣٥ .

(٦) العصامي ، المصدر السابق ، ص ١٦

(٧) ابن فهد النجم ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٨-٤٩ .

(٨) الفاسي ، محمد بن احمد ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٦ .

لقد رأى الحاكم الرسولي المنصور نور الدين عمر بن رسول أن ينتهج أسلوباً جديداً في السيطرة على مكة بتدعيمه للشرif راجح بن قتادة المطالب بالسلطة في مكة والذي عين من قبل الملك المسعود الأيوبي على السرين^(١) والمخلاف السليمانى ، في الوقت الذي يتوق إلى مكة التي يرى أحقيته بها ، ولهذا قام المنصور الرسولي في سنة ٦٢٩ هـ بارسال قوة إلى مكة بقيادة الشرف راجح بن قتادة ومعه أمير يعرف بابن عبدان^(٢) كأول قوة رسولية جهزت من اليمن للحجاز^(٣) . فعند وصولهم إلى مكة نزلوا بالأبطح^(٤) لمحاصرة الأمير طغتكين نائب الملك الكامل الأيوبي بمكة ، الذي أفسد عليه الشرف راجح ما بنائه من علاقة مع المكين بانفاقه للأموال عليهم ، حيث أخذ الشرف راجح يرأسهم ويذكرهم باحسان السلطان نور الدين عندما كان نائباً للمسعود على مكة فمالوا إلى جانبه^(٥) لكونه منهم الأمر الذي أخاف الأمير طغتكين واضطر إلى الانسحاب من مكة سالماً بنفسه وبمن معه إلى وادي نخلة شرقي مكة ومنها إلى ينبع^(٦) وخطب

-
- (١) السرين بلفظ تشبة السر الذي هي الكتان مجرور أو منصوبا وهي بليد قريب من مكة على ساحل البحر بينها وبين مكة مسافة أربعة أيام أو خمسة أيام تقريبا وينسب إليها ابوهارون موسى بن محمد بن كثير السريني . أنظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٢١٩ .
- (٢) ابن عبدان قائد رسولي بعثه الملك المنصور نور الدين الرسولي سنة ٦٢٩ هـ في معية الشرف راجح بن قتادة لابعاد القوة الأيوبية عن مكة فاستولوا عليها ولكن عندما أتت قوة أيوبية حاصرتهم وقتلوا ابن عبدان . أنظر الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٨ ص ١٧١ .
- (٣) ابن القاسم ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٢٠ .
- (٤) الأبطح بالفتح والسكون وفتح الطاء والحاء المهملة هو كل مسيل في دفاق الحصه وهنا هو مكان بين مكة ومنى في مسافة متساوية بينها ودخل الآن في إمتداد العمران بمدينة مكة ويسمى بالمحصب وأيضا يسمى بخيف بني كنانة . أنظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٤ .
- (٥) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٠ .
- ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ١٩٢ .
- ابن فهد ، غاية المرام ، ج ١ ص ٦٠١ .
- (٦) المقرئزي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٤٤ .
- ريتشارد مورتييل ، المرجع السابق ، ص ٤٦ .
- ابن القاسم ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٢٠ .

بمكة للملك المنصور الرسولي صاحب اليمن بدلا من الأيوبيين^(١) .

لم ينعم الرسوليون بهذه السيادة على مكة وإنما إشتد التنافس بينهم وبين الأيوبيين بمصر حيث أخذ الأمير شجاع الدين طغتكين يعيد ترتيب قوته في ينبع وطلب النجدة من سيده املك الكامل الأيوبي لارسال قوة عسكرية حتى يستطيع اكتساح الشريف راجح بن قتادة والقوة الرسولية التي تسانده وإسترداد السيادة الأيوبية على مكة، فعندما بلغ الملك الكامل الأيوبي أبعاد الأمير طغتكين نائبه بمكة جهز له قوة عسكرية عظيمة بقيادة الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ولعب نفس الأسلوب الذي نهجه ابن رسول وارسل إلى الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة أمير ينبع وللأمير شيعه أمير المدينة لمساندة قوته^(٢) . ونجدة نائبه الأمير طغتكين الذي استطاع بهذه القوة دخول مكة وإبعاد الشريف راجح والقوة الرسولية وقتل ابن عبدان أمير القوة الرسولية وبطش بالسكان انتقاما لميلهم إلى الشريف راجح^(٣)، ولكن لامة على ذلك الملك الكامل على التصرف المشين مع السكان^(٤) غير اللائق والمضر بالسيادة الأيوبية .

وفي سنة ٦٣٠ هـ بعث السلطان نور الدين الرسولي قوة عسكرية مدعما بها الشريف راجح بن قتادة الذي أربها بها الأمير طغتكين الذي خرج ودخل الشريف راجح مكة في شهر صفر دون قتال^(٥) .

في أواخر سنة ٦٣٠ هـ أرسل الملك الكامل الأيوبي قوة تقدر بسبعمئة فارس من الغز والعربان بقيادة الأمير علاء الدين آق سنقر الزاهدي لابعاد الشريف

(١) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢ ص ٢٣٧ .

السباعي، المرجع السابق، ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٠ .

(٣) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص ١٩٢ .

ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢١ .

المقرزي، المصدر السابق، ص ١٩٢ .

(٤) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص ١٩٢ .

ابن فهد عبدالعزيز، غاية المرام، ج ١ ص ٦١٣ .

(٥) العصامي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٧ .

مورتل، ريتشارد، المرجع السابق، ص ٤٧ .

راجع ومن معه من القوة الرسولية عن مكة ، فوصل إليها في الموسم وتسلمها دون قتال حيث خرج منها الشريف قبل الاحتكاك بالقوة الأيوبية لكثرتها ، وحج الأمير الأيوبي الزاهدي بالناس . وطيب قلوبهم .

وأحسن اليهم لامتنصاص غضب المكين من جراء تصرف الأمير طغتكين ونصب ابن مجلي^(١) على مكة نائبا للسلطان الكامل بدلا من طغتكين وترك معه خمسين فارسا ورجع إلى مصر^(٢) .

ويبدو أن التنافس بين القوتين الأيوبية بمصر والرسولية باليمن ازداد حدة في سبيل العلاقة بمكة فكلاهما يرى ضرورة هذه العلاقة ، لما لموقع الحجاز الاستراتيجي من أهمية لكل من مصر واليمن إضافة إلى ما بالحجاز من أماكن مقدسة يؤمها المسلمون من أنحاء المعمورة وبذلك يكتسب سمعة طيبة لدى العالم الإسلامي فكلتا القوتين تسعيان لكسب ودها . ففي سنة ٦٣١ هـ جهز الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول قوة كبيرة من اليمن ومعها خزانة عظيمة من الأموال إلى الشريف راجح بن قتادة لخراج القوة الأيوبية^(٣) حيث لم يكتف ابن رسول بربط نفسه بعلاقات طيبة مع الشريف راجح لضمان ذكر اسمه على منابر الحرم الشريف لكسب سمعة طيبة لدى العالم الإسلامي وإنما في نفس الوقت راسل الخليفة المستنصر العباسي وأهدى إليه الهدايا الثمينة لكسب الإعتراف به حاكما لليمن حيث وعده الخليفة العباسي بخخله وصله في حج سنة ٦٣١ هـ

(١) ابن مجلي قائد أيوبي ولاء السلطان الملك الكامل الأيوبي على مكة بعد عزله للقائد طغتكين لاساءته لأهلها سنة ٦٣٠ هـ .

الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٨ ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) المقرئزي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٤٥ .

الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٠ .

ابن ظهيرة ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

العصامي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢١٧ .

مورتيل ، ريتشارد ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٣) ابن فهد الهاشمي عبدالعزيز ، غاية المرام ، ج ١ ص ٦٠١ .

ابن ظهيرة ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

بعرفة^(١) . وتحمس لهذا واثق من اليمن على هيئة طيبة من القوة والأموال لهدف الحج استلام خلعتة من مندوب الخليفة العباسي بعرفة كما لهذا من دعم سياسي ومعنوي له . ولكن ذلك أخاف الشريف راجح الذي لم يستطع مقابلته وإنما خرج من مكة خائفاً على نفسه . ولم يرجع إلا بعد خروج المنصور راجعاً إلى بلاده^(٢) ، حيث لم يكن من الشريف راجح الذي أخرج القوة الأيوبية وأميرها ابن مجلي^(٣) . وهذا مما يدل على عدم صدق العلاقة بين الشريف راجح الذي يطمع في إعادة سلطة أهله على مكة وبين السلطان المنصور الرسولي الذي يعمل لسيادته دون ترك الفرصة للشريف راجح . وإنما هي علاقة مصالح مؤقتة بين الطرفين ، وزاد أيضاً في تعكير صفو السلطان الرسولي عدم وصول الخلعة العباسية لأن الحج العراقي لم يأت للحج لاعتراض بعض العربان له وهو في طريقه إلى الحج^(٤) ولكنه تسلمها من مندوب الخليفة الذي أرسل بحراً إلى اليمن سنة ٦٣٢ هـ^(٥) .

وفي أوائل سنة ٦٣٢ هـ اختلف كل من الشريف على بن قتادة وأخيه قاسم مع أخيهما الشريف راجح وأخذوا مكة منه قهراً ومكثا خمسة أشهر ولكنه استطاع أن يستعيدها منها وتأثر الشريف راجح من حكام اليمن لأنه عزا ذلك اليهم من تحريض اخوته^(٦) ولعل ذلك تهديداً من المنصور الرسولي له لعدم إستقباله في العام الماضي وهو عام ٦٣١ هـ .

ولكن في نفس سنة ٦٣٢ هـ أرسل السلطان المنصور نورالدين الرسولي قناديل من الذهب والفضة للكعبة المشرفة على يد قائد حملته على مكة ابن

-
- (١) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٣ ص ٢٣٧ .
 - ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٠١ .
 - (٢) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٥ .
 - (٣) العصامي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٧ .
 - (٤) ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢١ .
 - الحداد، المرجع السابق، ص ٢٥٥ .
 - (٥) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥ .
 - ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢١ .
 - (٦) مورتيل، ريتشارد، المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨ .

النصيري^(١) وقيل ابن البصري لتعزيز الشريف راجح ضد القوة الأيوبية القادمة من مصر، فقاما بتعليق القناديل في الكعبة ولكن قبل أن يستعدا للدفاع فاجأهم القوة الأيوبية وأخرجتهم من مكة^(٢)، علما أن هذه القوة الأيوبية لم تجد صعوبة في السيطرة على مكة، حيث نرجع ذلك للخلاف بين الشريف راجح وأخوته من ناحية، وكذلك عدم صدق النية واهتزاز الثقة بين الشريف راجح وبين بني رسول، إضافة إلى هيئة القوة الأيوبية التي يتزعمها خمسة من القادة بزعامة الأمير جفريل الذي أعاد النفوذ الأيوبي على مكة في أواخر سنة ٦٣٢ هـ^(٣) هكذا احتدم التنافس بين الجانبين على العلاقة بسيادة مكة فالملك الكامل بارساله هذه القوة العظيمة والتي يرافقها خمسة من القادة الأيوبيين ربما بهدف إنهاء المحاولات الرسولية التي لم تنقطع ولكن يبدو أن السلطات الرسولية لم تشيها هذه القوة الأيوبية الضخمة، ففي عام ٦٣٣ هـ جهز السلطان المنصور نور الدين الرسولي قوة عسكرية ضخمة من اليمن بقيادة الأمير شهاب الدين ابن عيدان في الوقت الذي بعث بالأموال الجزيلة للشريف راجح بن قتادة للصرف منها على كل ما يحقق الهدف الذي كان ينشده بنو رسول، وجعل العسكر تحت تصرفه لاسترداد مكة إلى السيادة الرسولية لتحسين الثقة بينه وبين الشريف راجح وخاصة بعد استلامه لخلعة الاعتراف من الخليفة العباسي المستنصر بالله بحكمه على اليمن ولكن عند سماع القائد الأيوبي جفريل بهذه القوة استعد لمقابلتها قبل وصولها إلى مكة حيث تقابلا بالخليف^(٤) وقيل الخريقين بين مكة والسرين فانهمزمت القوة الرسولية وأسر

(١) ابن النصيري قائد رسولي أرسله الملك المنصور مع الشريف راجح بن قتادة سنة ٦٣٧ هـ لابعاد الشريف شيعه الحسيني المدعم من الأيوبيين عن مكة. انظر الفاس العقد الثمين، ج ٨ ص

١٧٤.

(٢) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥.

ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٠٥.

(٣) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥.

ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥.

المقريزي، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥.

ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢٢.

(٤) العصامي، عبد الملك، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٨.

القائد الرسولي الأمير شهاب الدين ابن عيدان الذي قيده الأمير جفريل وأرسله إلى مصر حيث السلطة الأيوبية^(١) .

يبدو أن هذه الهزيمة التي منى بها بنو رسول في محاولتهم لاسترداد سيادتهم على مكة قبل وصول قوتهم إلى مكة وأسر قائدهم ابن عيدان كان لها الأثر في بقاء مكة تحت السيادة الأيوبية إلى سنة ٦٣٥ هـ وهذا الأمر لم يحدث من بداية التنافس فيما بينهما ، ولكن الحاكم الرسولي الطامع في هذه السيادة لم يستسلم لتلك الهزيمة بل جهز قوة تتكون من ألف فارس من اليمن وقادها بنفسه^(٢) واستخدم أسلوباً جديداً مع القوة الأيوبية المنافسة المقيمة بمكة ببذله ألف دينار وحصانا وكسوة لكل جندي ينضم لقوته فأنت الخطة الرسولية ثارها حيث مال إلى الانضمام إلى صفوف القوة الرسولية كثير من الجند الأيوبي المقيمين بمكة ، في الوقت الذي أرسل الشريف راجح لمقابلته في الطريق ، وجهزه بثلاثمائة فارس وبعض الأجهزة الحربية ليتوجه مع الخط الساحلي محاذيا للسلطان الرسولي ، ربما لحماية السلطان الرسولي والقوة التي معه من أي هجوم مفاجيء عن طريق البحر تقوم به القوة الأيوبية وأيضاً للوصول إلى مكة مبكراً قبل فشل هذه الخطة التي استمال بها رجال القوة الأيوبية ، ولكن عند سماع القائد الأيوبي أسد الدين جفريل بقرب وصول هذه القوة الرسولية اضافة إلى مالمسه من خذلان كثير من قوته وانضمامهم للقوة الرسولية تحت تأثير الاغراءات المادية قام باحراق أثقاله^(٣) حتى لا تستخدم ضده من قبل خصومه وهرب إلى مصر، فبشر الشريف راجح السلطان المنصور عمر بن رسول بما حصل ففرح لذلك وأتى إلى مكة معتمراً وكان ذلك في رجب سنة

-
- (١) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥ .
ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٠٢ .
ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢٢ .
(٢) ابن فهد النجم عمر، التحاف الوري، ج ٣ ص ٥٣ .
(٣) ابن فهد، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٣ .
ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢٣ .
ابن فهد، غاية المرام، ج ١ ص ٦٠٢-٦٠٣ .
الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦١-٦٢ .

٦٣٥ هـ وتصدق بالأموال وأكرم عسكره وترك قوة بمكة قوامها مائة وخمسون فارساً تحت قيادة ابن التعزي^(١) وابن الوليد^(٢) ورجع السلطان المنصور الرسولي إلى اليمن^(٣) ودامت ولايته على مكة إلى سنة ٦٣٧ هـ^(٤) ويبدو أن ذلك لم يكن استسلاماً من الدولة الأيوبية بمصر أو عزوفاً بالعلاقة بمكة المكرمة وإنما للمشاكل الداخلية بين البيت الأيوبي بمصر وبلاد الشام^(٥) أولاً ثم ما حصل بعد وفاة الملك الكامل سنة ٦٣٥ هـ^(٦) من ارتباك في السلطة الأيوبية بمصر باستلام الملك العادل أكبر أولاد الملك الكامل للسلطة بمصر وجنوحه للإسراف واللهو لعدم استقامته وكفاءته^(٧) وأيضاً لتورط أخيه الملك الصالح أيوب في مشاكل بلاد الشام وحروبه فيها من عهد والده الملك الكامل، ولكن بسماعه ما آتت إليه الأمور بمصر بعد استيلاء أخيه الملك العادل على مقاليد الحكم بها أخذ يفكر الملك الصالح أيوب لانقاذ سلطتهم خوفاً على بلاده من التهديد الداخلي من ناحية ومن التهديد الصليبي عن طريق البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى.

وعلى كل حال في سنة ٦٣٦ هـ خرج السلطان الصالح أيوب من دمشق في

-
- (١) ابن التعزي قائد رسولي تركه الملك المنصور في معية ابن الوليدي عندما غادر الملك المنصور سنة ٦٣٦ هـ، انظر القاسي، العقد الثمين، ج ٨ ص ١٧.
- (٢) ابن الوليد / قائد رسولي تركه الملك المنصور الرسولي سنة ٦٣٠ هـ نائباً له بمكة ومعين ابن التعزي واقاماً بمكة حتى نهاية السنة. انظر القاسي، العقد الثمين، ج ٨، ص ١٧٤.
- (٣) ابن فهد النجم عمر، تحاف الوري، ج ٣ ص ٥٣.
- العصامي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٨.
- الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٢.
- ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢٣.
- مورتيل، ريتشارد، المرجع السابق، ص ٤٩.
- (٤) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص ١٩٣.
- (٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٥ ص ١٥٢.
- (٦) ابن واصل، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٥٥.
- المقريزي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٧٤.
- ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢٣.
- (٧) ابن واصل، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٥٦.

قوة تعدادها خمسة آلاف فارس^(١) وقبل وصوله إلى مصر حصل خلاف بين الملك العادل ومؤيديه وعلى أثره قبض عليه ليلة الجمعة ثامن ذي القعدة من سنة ٦٣٦ هـ ودخل الملك الصالح نجم الدين أيوب مصر واستلم زمام الأمور يوم السبت لست بقين من ذي القعدة^(٢) .

أما الجانب الرسولي فقد استغل هذه الظروف التي ابتليت بها القيادة الأيوبية بمصر بتوطيد سلطتهم بمكة باغداق الأعطيات لأهل الحرمين حيث كان السلطان المنصور نور الدين عمر بن رسول يرسل كل سنة بصدقة عظيمة من اليمن إلى مكة ليصل بها أهل مكة والمجاورين بها ولم يكتفوا بذلك وإنما كان ابنه المظفر يوسف في أيامه يتاجر بالأرزاق إلى مكة على يد محمد بن أبي القاسم مما ساعد في توفر الأطعمة ورخاء أسعارها الأمر الذي زاد في ميل السكان للبيت الرسولي فأخذ يدعى للمنصور بمكة^(٣) ولكن الملك الصالح نجم الدين أيوب لا يختلف عن والده السلطان الكامل في طموحاته فبأستلامه السلطة بمصر أخذ يفكر باعادة السيادة الأيوبية على الحرمين الشريفين ، ولذلك في سنة ٦٣٧ هـ جهزة قوة عسكرية من ألف فارس نهض بهم أمير المدينة الشريف شичه ابن قاسم الحسيني إلى مكة وأخرج منها القوة الرسولية^(٤) .

وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب في منبر الحرم المكي الشريف ولكن ذلك لم يستمر طويلا ، لأن الملك المنصور الرسولي لم يرضه ذلك بل أرسل قوة للشريف راجح بن قتادة ومعها ابن النصيري لابعاد القوة الأيوبية التي يقودها الشريف شичه بن قاسم الذي ترك مكة بوصول القوة الرسولية^(٥) . وتوجه إلى

-
- (١) ابن واصل، المصدر السابق، ج ٥ ص ٢١١ .
 - (٢) ابن واصل، المصدر السابق، ج ٥ ص ٢٦٥ .
 - (٣) ابن فهد النجم عمر، تحاف الوري، ج ٣ ص ٥٤ .
 - (٤) المقرزي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٣٠٠ .
 - الفاسي، شفاء الغرام ج ١-٢ ص ٢٣٦ .
 - ابن فهد النجم عمر، تحاف الوري، ج ٣ ص ٥٦ .
 - ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص ١٩٣ .
 - (٥) المقرزي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٠ .
 - العصامي، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢١٨ .
 - ابن فهد النجم عمر، تحاف الوري ، ج ٣ ص ٥٦ .

مصر وأخبر السلطان الملك الصالح الأيوبي بما حصل فجهز بقوة عليها الأمير علم الدين الكبير، وعلم الدين الصغير ودخلوا مكة بعد خروج القوة الرسولية وحجوا بالناس في سنة ٦٣٨ هـ^(١) بكل هدوء ويبدو أن هذه الفترة هي أكثر فترات المنافسة على مكة بين الأيوبيين والرسوليين لكثرة الحملات وضخامتها وتنوع قادتها وسعى كل سلطة لاستمالة أحد الأشراف أمراء الحجاز إلى جانبها لنيل الشرعية وجلب السكان إلى جانبه ، فترى في سنة ٦٣٩ هـ تغيير السلطان المنصور سياسته بتجهيز الشريف علي بن قتادة بدلا من أخيه الشريف راجح ، ولعلم القوة الأيوبية بمكة بذلك طلبت النجدة من السلطان الأيوبي فأرسل لهم قوة بقيادة ابن برقاس وابن التركماني . أما التغيير لعله الخلاف بينهما وأيضا لاستقطاب الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة صاحب ينبع حيث القلعة التي استخدمت لامداد القوة الأيوبية المهاجمة لمكة المكرمة ، وعندما وصل الشريف علي بن قتادة السرين بلغه وصول نجدة كبيرة من مصر بقيادة الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس ابن التركماني^(٢) لذلك توقف بالسرين وأرسل إلى السلطان نورالدين الرسولي يخبره بما حصل الأمر الذي اضطر السلطان الرسولي يتجهز بنفسه على رأس قوة كبيرة من اليمن ومعه من الأموال الشيء الكثير ويعلم القوة الأيوبية بقدومه انسحبوا من مكة بعد احراقهم لدار السلطنة بما فيها من أسلحة حتى لا تستخدم من قبل القوة الرسولية التي دخلتها في شهر رمضان سنة ٦٣٩ هـ^(٣) فعمل بعض الاصلاحات وأخذ ينفق الأموال الكثيرة وجلب ود الناس لنفسه حيث في نفس السنة وصل الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس الى السلطان المنصور الرسولي ومعه بعض رجاله راغبين في خدمته فأنعم السلطان نور الدين عليهم بالاعطيات والخلع وأراد ان يقطع دابر النشاط الأيوبي المنافس باستغلال المشاكل الداخلية

(١) ابن فهد النجم عمر، تحاف الوري، ج ٣ ص ٥٧

ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٢٤ .

الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٥ .

الجزيري، عبدالقادر بن محمد، درر الفوائد، ص ٢٧٧ .

(٢) الخزرجي، المصدر السابق، ص ٦٨ .

ابن القاسم، المصدر السابق، ج ١ ص ٤٣٣ .

(٣) ابن فهد النجم عمر، تحاف الوري، ج ٣ ص ٥٨ .

الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٩ .

السائدة بين البيت الأيوبي من جهة وانشغال البيت الأيوبي في حروبهم مع الحملات الصليبية المتتالية على بلادهم عن طريق البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى فقام نور الدين بشراء قلعة ينبع من الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة الذي أخذ يقربه فهدمها حتى لا تستخدم من قبل الحملات الأيوبية^(١) وقبل مغادرته مكة رتب بها قوة بقيادة الأمير فخر الدين بن السلاج^(٢) والأمير ابن فيروز وجعل الشريف أبو سعد بقوته مساندا لهم من الوادي^(٣) أي وادي مر الظهران . وفي سنة ٦٤٠ هـ توجه السلطان نور الدين إلى اليمن بعد إستقرار الأمور له في مكة^(٤) وهذا يبين بعد نظره وعزمه على أبعاد النفوذ الأيوبي من مكة وربط نفسه بعلاقات وطيدة حتى قيل أنه زوج ابنته الأميرة عازبة على الشريف من أمراء مكة ليربط علاقته بالمصاهرة مع الأشراف بمكة^(٥) واستبعاد المنافسة الأيوبية لتبقى مكة تحت السيادة الرسولية .

وبعد ضعف المنافسة الأيوبية على سيادة مكة وإبعادهم عنها على يد السلطان الرسولي نور الدين ، وانضمام القادة الأيوبيين لخدمته بعد تأكدهم لرجحان كفته وانشغال سادتهم بمشاكلهم الداخلية ، أخذ السلطان الرسولي يعمل لتوطيد سلطته في مكة حيث أعرض عن ولاية الشريف راجح بن قتادة على مكة كنائب له^(٦) بها رغم اعتماده عليه في معظم حملاته على الحجاز لابعاد القوة الأيوبية عنها وذلك لجلب تأييد الأهالي وخاصة لكون الشريف راجح كان يطمع في تلك الولاية لاعادة سيادة أسرته على مكة ، التي فقدوها على يد المسعود الرسولي عام

(١) ابن فهد النجم عمر ، تحاف الوري ، ج ٣ ص ٥٨ .

الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٩ .

مورنيل ، ريتشارد ، المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢) السلاج ، هو الأمير فخر الدين السلاج قائد رسولي أنابه الملك المنصور الرسولي بمكة سنة ٦٣٩ هـ

وبقي فيها حتى عزله سنة ٦٤٦ هـ وأناب ابن المسيب ، انظر الفاسي ، العقد الثمين ، ص ١٧٥ .

(٣) اي وادي مر الظهران والمعروف الآن بوادي فاطمة ولدي البادية بوادي الشريف .

(٤) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٩ .

ابن فهد النجم عمر ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٥٨ .

ابن فهد عبدالعزيز ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٦٠٥ .

(٥) الخزرجي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٨٣ .

(٦) دحلان أحمد زيني ، خلاصة الكلام ، ص ٢٦ .

٦٢٠ هـ^(١) ولهذا أخذ المنصور الرسولي يقوم ببعض الاصلاحات لتوطيد سيادته فقام بتعيين مملوكه فخر الدين بن الشلاح نائبا له في مكة يساعده ابن فيروز بعد ابعاد ابن المسيب اليمني^(٢) عنها ، وربط نفسه بعلاقات طيبة مع الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة الذي ترك الأمر له بوادي مر الظهران وينبع مساندا لقواده بمكة، حيث يبدو من هذا التصرف الرسولي الرغبة في الاستحواذ على السلطة بمكة وخوفهم من اشراف مكة على ابعاد نفوذه الذي سعى جاهدا لتوطيده ولهذا لم يجعل الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة نائبا له على مكة المكرمة رغم اظهار الود له وشرائه قلعة الينبع منه بثمان مجز لايقاف النشاط الايوبي الا أنه جعله مدعما وساندا لقوته من وادي مر الظهران خارج مكة^(٣) ، حيث لم يكن بأحسن حالا من عمه الشريف راجح في علاقته بالمنصور الرسولي الذي لم يبقه كنائب له في حكم مكة وذهب إلى أبعد من ذلك بأن ربط نفسه بعلاقات مع الأشراف لتساعده على استمرار نفوذه على الأماكن المقدسة بالحجاز حيث قام بتزويج ابنته (عازبه) على شريف من أشراف مكة ليربط علاقته بالمصاهرة مع الأشراف بمكة^(٤) وقام أيضا ببناء مدرسة بمكة يغبطه عليها سائر الملوك لجلب محبة الناس له سواء في الأراضي المقدسة أو في العالم الاسلامي لمكانة الأماكن المقدسة في نفوسهم^(٥) كما أنه سنة ٦٤٤ هـ أرسل زوجته مع الحج اليمني لأداء الحج والعمرة فعندما انتهت من أداء مشاعر الحج والعمرة قامت زوجة الملك الرسولي بتعمير مسجد الهليلجة بالتنعيم^(٦) لتحسين صورة البيت الرسولي في نظر أهل الحجاز وعمل قاعدة شعبية للبيت الرسولي ، اضافة إلى مقام به السلطان المنصور

(١) ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص ١٩٢ .

العصامي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٥ .

مورتيل، ريتشارد، المرجع السابق، ص ٤٥ .

(٢) ابن المسيب اليمني عينه الملك المنصور الرسولي نائبا له بمكة سنة ٦٤٦ هـ بعد عزله لابن الشلاح بعد الزامه بمبالغ للخرينة الرسولية ومائة فرس سنويا، انظر الفاسي، العقد الثمين ج ٨ ص

١٧٢ .

(٣) ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٠٥ .

(٤) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٨٣ .

(٥) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٨٩ .

(٦) ابن فهد النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٤ .

نورالدين عمر بن رسول نفسه سنة ٦٤٥ هـ من تعمير المسجد الواقع عند دار النحر بمنى بين الجمرة الأولى والوسطى^(١) وقد ازيل الآن هذا المسجد في التوسعة السعودية لمنطقة الجمرات. هكذا كان البيت الرسولي جاهدا في عمل ما يحقق سيادتهم وربط انفسهم بمكة بعلاقات متميزة بالقيام بالاصلاحات العمرانية وغيرها وخاصة بعد رفض شيخ الحرم المكي قبول عرض الملك المنصور الرسولي للقيام بكسوة الكعبة عندما تمزقت سنة ٦٤٣ هـ بقول شيخ الحرم : « لا يكون هذا الأمر [أي كسوتها] إلا من الديوان العزيز [الخليفة العباسي] »^(٢). وبعد ضعف الجانب الأيوبي للمنافسة على الأماكن المقدسة في الحجاز لأسباب داخلية وخارجية بليت بها السلطة الأيوبية في آخر عهدها مما اضطر بعض قادتها إلى البحث عن ملجأ ، حيث في عام ٦٣٩ هـ طلب القائد الأيوبي الأمير مبارز الدين علي ابن الحسن بن برطاس ومعه اعدادا من اتباعه للانضمام لخدمة السلطان الرسولي الذي رحب بهم وأنعم عليهم وكساهم جميعا تدليلا لآكرامهم^(٣) مثل ما ذكرنا سابقا وهذا مؤشر لرجحان كفة السلطان الرسولي على منافسيه واستقرار سيادته على الأماكن المقدسة التي بقيت إلى وفاته سنة ٦٤٧ هـ^(٤) دون أي منافس حيث كان خادمه ابن السلاح يساعده ابن فيروز الذي استمر نائبا عنه في مكة إلى عام ٦٤٦ هـ عندما خلعه وعين ابن المسيب اليميني الذي ألزمه بمبالغ من الأموال يدعم بها الخزينة الرسولية باليمن بعد كفاية الجند بمكة اضافة إلى ارسال مائة فرس سنويا إلى اليمن الأمر الذي جعل ابن المسيب يعيث بالحجاج والسكان معا لهدف جمع الأموال ليفي بما تعهد به لسيده من جانب ويثري نفسه من جانب آخر حيث استمال قبائل هذيل الحجازية كجنود له وبني قلعة في وادي نخلة وسط قبائل هذيل المذكورة وأطلق عليها اسم (العطشان) ومنع الجند حقهم

(١) ابن فهد النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٦ .

(٢) الجزيري عبدالقادر، درر الفوائد المنظمة، ص ٢٧٧ .

(٣) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٦ .

(٤) الحداد، المرجع السابق، ص ٢٥٦ .

طمعاً حتى تفرقوا عنه وساءت سيرته وسيرة^(١) الدولة الرسولية من جراء هذا التصرف، حيث كان الملك المنصور الرسولي يصرف الأموال على الحجاز لطلب ود أهلها فنراه بعد تحققه من ضعف بل انعدام المنافسة التقليدية وفقدانهم لحكام أقوىاء بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ^(٢) إضافة إلى المشاكل الخارجية من جراء الهجمات الصليبية لاراضيهم والتهديد التتاري من الشرق للبلاد الاسلامية وسيطرة المماليك على أمور الدولة حتى سقطت الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨ هـ^(٣) على يد المماليك الأتراك الذين قاموا بثورة ضدها مستغلين ماوصلت إليه أوضاعها الداخلية والخارجية وسيطرتهم على شئون الدولة وأجهزتها حتى لا تكون عرضة للخطر الصليبي من الغرب والخطر التتاري من الشرق، وعدم وجود التنافس القوي من ناحية أخرى وإبعاد الشريف راجع عن حكم مكة وتعيين بعض قادة البيت الرسولي على مكة نيابة عن السلطان المنصور الرسولي الذي أراد بذلك إحكام قبضته على الحجاز وإستمراره في العلاقات الشكيلة مع الأشراف الذين لم يغفروا هذا التصرف للمنصور ولم تخف عليهم أهداف هذه السياسة الرسولية إنما أخذوا يعملون حتى استطاع الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة استعادت نفوذ أسرته على مكة بطرده للنائب الرسولي ابن المسيب اليميني سنة ٦٤٧ هـ^(٤) وساعده وفاة الملك المنصور الرسولي سنة ٦٤٧ هـ^(٥) وأصبحت العلاقة بينهم وبين الدولة الرسولية يصيبها بعض الفتور

(١) ابن فهد النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٧ .

الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٧٧ .

الفاشي، شفاء الغرام، ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٦٤ .

(٣) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧١ .

السباعي، المرجع السابق، ج ١ ص ٢٣٨ ، انظر أيضا : Bernard Lewis, «Egypt, and syria » in the cambridge history of Islam, vol. I, A.P. 210.

(٤) ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٠٥ .

ابن فهد النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٨ .

المقريزي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٨ .

ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص ٣٥٥ .

(٥) الحداد، المرجع السابق، ص ٢٥٦ .

وبهذا انتهت المنافسة الرسولية الأيوبية على الحجاز التي دامت أكثر من عشرين عاما .

أما موقف الخلافة العباسية التي كانت في أوضاع لا تحسد عليها مما ابتليت به من تفكك ومشاكل داخلية ، إضافة إلى التهديد التتاري لها فكاد يكون معدوما وإن كان احترامها كشعار للشرعية فنرى الملك الكامل الأيوبي يعاتب ابنه الملك المسعود الذي قدم علم والده على علم الخلافة العباسية في حج عام ٦٢٠ هـ (٣) . وأيضا في سنة ٦٣١ هـ أرسل السلطان نور الدين عمر بن رسول الهدايا النفيسة للخليفة العباسي المستنصر بالله ، وطلب منه خلعة النيابة على بلاد اليمن بعد سيطرته عليها (٢) . وبهذا فكل من الأيوبيين والرسوليين يحاولون ربط أنفسهم بعلاقة طيبة مع الخلافة العباسية لنيل التأييد . أما الخلافة نفسها فلم يبق من نفوذها على الحجاز إلا الشيء التقليدي ، من إرسال كسوة للكعبة المشرفة مع أمير الحج العراقي الذي كان ينقطع في معظم فترة المنافسة الرسولية الأيوبية التي نحن بصدد دراستها عن الحج لتعرضهم لهجمات الأعراب القريبيين من مركز الخلافة في بغداد ، حيث ذكر الفاسي في شفاء الغرام أن الحجاج العراقيين لم يحجوا سنة ثلاث وثلاثين إلى سنة أربعين وستائة (٣) . هي السنة التي توفي فيها الخليفة المستنصر بن الظاهر العباسي ، وتولى ابنه المستعصم بالله العباسي ، وفيها وصل الحج العراقي إلى مكة بعد إنقطاع سبع سنوات (٤) . وأيضا في سنة ٦٤١ هـ عمر الشهاب ربحان نيابة عن العباسيين رباط الشراي عند باب بني

(١) ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٥٩١ .
السباعي ، المرجع السابق، ج ١ ص ٢٢٣ .
انظر أيضا :

Gerald — De Gaury, Rulers of Mecca, New York, P. 87.

آمنه جلال ، المرجع السابق، ص ٣٤ .

(٢) ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق ج ١ ص ٦٠١ .

(٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢ ص ٢٣٧ .

الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٩ .

(٤) الخزرجي، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٩ .

شبية ، وفيها جهز الخليفة المستعصم بالله العباسي الحج العراقي إلى مكة برفقة والدته ودويداره تصحبها ألف ونيّف وثلاثون جملا ، حيث أمر السلطان المنصور نور الدين عمر بن رسول نائبه في مكة ابن السّلاح بخدمتها ، وبذلت الخير الكثير بمكة^(١) هكذا كان موقف الخلافة العباسية من التنافس الرسولي الأيوبي على العلاقة بمكة المكرمة الذي انتهى باستعادة الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة الحسني نفوذ أسرته عليها بعد طرده لابن المسيب اليمني نائب السلطان الرسولي سنة ٦٤٦هـ^(٢) . حيث لم يظهر الخلفاء العباسيون تأييدهم لطرف النزاع دون الآخر ، وإنما كان همهم ربط أنفسهم بالأماكن المقدسة لتحقيق شرعيتهم كخلفاء لهم السيادة الروحية على الحجاز .

* * * *

(١) ابن فهد النجم عمر، المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٠ .

(٢) ابن فهد عبدالعزيز، المصدر السابق، ج ١ ص ٦٠٥ .

المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر محمد الكامل في التاريخ / بيروت، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- ٢ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة / القاهرة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.
- ٣ - ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد وفيات الأعيان / تحقيق د. احسان عباس، بيروت، دار الثقافة بيروت (بدون).
- ٤ - ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني . الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين / تحقيق د. احمد سيد دراج. جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث .
- ٥ - ابن فهد، عبدالعزيز بن عمر الهاشمي . غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام / جامعة أم القرى ١ / ١٤٠٦ هـ ، ٢ / ١٤٠٩ هـ ٣ / ١٤٠٩ هـ
- ٦ - ابن فهد، النجم عمر بن محمد الهاشمي . اتحاف الوري بأخبار أم القرى / تحقيق فهم شلتوت، ج ١ مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م. ج ٢ القاهرة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م ج ٣ مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٧ - ابن ظهيرة، جمال الدين محمد جار الله الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف / المكتبة الشعبية، القاهرة، ١٣٩٩ / ١٩٧٩ م.
- ٨ - ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل القرشي . البداية النهاية في التاريخ / دار الفكر العربي، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م.
- ٩ - ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم . مفرج الكروب في اخبار بني أيوب / دار العلم، القاهرة، ١٩٦٠ م الأجزاء ١، ٢، ٣ تحقيق الشيال، دار العلم، القاهرة، ١٩٦٠ م الأجزاء ٤، ٥ تحقيق حسنين ربيع، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢ - ١٩٧٧ م.
- ١٠ - باقاسي، عائشة بنت عبد الله . بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧ - ٦٤٨ / ١١٧١ - ١٢٥٠ ، ط ١ مكة المكرمة، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م.
- ١١ - جبر، فؤاد علي، جدولة العصور التاريخية للدول الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ١٢ - الجزيري، عبدالقادر بن محمد. درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق المعظمة / القاهرة، ١٣٨٤ هـ .
- ١٣ - جلال، آمنه حسن . علاقة سلاطين بني رسول بالحجاز / رسالة ماجستير من قسم التاريخ الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية / جامعة الملك عبدالعزيز ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

- ١٤ - الحداد، محمد يحيى . تاريخ اليمن السياسي / عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- ١٥ - الحموى، محمد يحيى . معجم البلدان / بيروت، ١٩٨٤ م
- ١٦ - الخزرجي، الشيخ علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية / القاهرة، ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .
- ١٧ - الزركلي، خير الدين الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٧ .
- ١٨ - السباعي، أحمد. تاريخ مكة / ط ٦، مكة المكرمة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ١٩ - السليمان، علي بن الحسين . العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك / القاهرة، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- ٢٠ - العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي / السلفية، القاهرة، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- ٢١ - عليان، د. محمد عبدالفتاح . الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن / رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب بجامعة القاهرة، ١٩٧٣ م .
- ٢٢ - الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد المكي . العقد الثمين / بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ٢٣ - الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد المكي . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام / بيروت، بدون .
- ٢٤ - القلقشندي، أبو العباس بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مطابع كوستاتوماس، القاهرة ج ٤ .
- ٢٥ - المالكي، سليمان عبدالغني . بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد / الرياض، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٢٦ - المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي . السلوك لمعرفة دول الملوك / القاهرة، ١٩٧٠ م .
- ٢٧ - مورتيل، د. ريتشارد . الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي / الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٢٨ - الواسعي، الشيخ عبدالواسع بن يحيى . تاريخ اليمن فرجه الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن / ط ٣، الدار البيضاء، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٢٩ - يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد . غاية الاماني في أخبار القطر الباني / القاهرة، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- ٣٠ - BERNAND, LEWUA, « Egypt and syria » the Cambridge History of Islam, London, 1970.
- ٣١ - DE GAURY GERALD, Rulers of Mecca, London, 1951.